

تحميل عام 79 المسؤلية عما تعانيه السعودية.. ولـي العهد يمتطي عجلة تحريف التاريخ

جمال خاشقجي

ولي العهد السعودي محمد بن سلمان في مقابلة مع البرنامج الإخباري "ستون دقيقة" قال ولـي عهد السعودية الأمـير محمد بن سلمان متـحدثاً عن المملكة العربية السعودية ما قبل عام 1979: "كـنا نعيش حـياة طـبيعـية مـثـلـاً مـثـلـاً باـقـيـ بلـدانـ الخليـجـ. كـانتـ النـسـاءـ يـقـدـنـ السـيـارـاتـ، وـكـانتـ هـنـاكـ دـورـ لـلـسـينـيـماـ فـيـ السـعـودـيـةـ، وـكـانتـ النـسـاءـ يـعـمـلـنـ فـيـ كـلـ مـكـانـ. كـناـ بـشـراـً اـعـتـيـادـيـنـ نـتـطـورـ مـثـلـاـ مـثـلـاـ بـلـدانـ الـعـالـمـ الـأـخـرـىـ إـلـىـ أـنـ وـقـعـتـ أـحـدـاثـ عـامـ 1979ـ." كـنتـ فـيـ سـبـعينـيـاتـ الـقـرنـ الـمـاضـيـ فـتـىـ فـيـ سنـ المـراهـقةـ، نـشـأتـ فـيـ الـمـديـنـةـ الـمـنـورـةـ، فـيـ الـمـمـلـكـةـ الـعـرـبـيـةـ السـعـودـيـةـ. مـاـ أـذـكـرـهـ عـنـ تـلـكـ السـنـيـنـ الـتـيـ سـبـقـتـ الـكـارـثـيـنـ الـلـتـيـنـ وـقـعـتـ فـيـ عـامـ 1979ـ - حـصـارـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ فـيـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ وـالـثـوـرـةـ الـإـيـرـانـيـةـ - يـخـتـلـفـ تـاماـً عـماـ يـحـكـيـهـ ولـيـ الـعـهـدـ مـحمدـ بنـ سـلمـانـ الـبـالـغـ مـنـ الـعـمـرـ اـثـنـيـنـ وـثـلـاثـيـنـ عـامـاـً فـيـ حـدـيـثـهـ الـمـوجـهـ لـلـجـمـهـورـ الـغـرـبـيـ. لـمـ يـكـنـ النـسـاءـ يـقـدـنـ السـيـارـاتـ، وـلـمـ أـرـ اـمـرـأـ تـقـوـدـ سـيـارـةـ إـلـىـ أـنـ زـرـتـ شـقـيقـتـيـ وـزـوـجـهـاـ فـيـ مـدـيـنـةـ تـيـمـبـ بـولـاـيـةـ أـرـيـزوـنـاـ عـامـ 1976ـ.

أـمـاـ دورـ السـينـيـماـ الـتـيـ كـانـتـ لـدـيـنـاـ فـلـمـ تـكـنـ سـوـىـ مـقـرـاتـ مـؤـقـتـةـ أـشـبـهـ بـالـسـينـمـاتـ الـتـيـ يـدـخـلـهـاـ النـاسـ بـسـيـارـاتـهـمـ فـيـ أـمـرـيـكاـ، وـلـكـنـهاـ كـانـتـ أـبـسـطـ مـنـ ذـلـكـ بـكـثـيرـ. كـانـ الـفـيـلـمـ يـعـرـضـ عـلـىـ جـدـارـ كـبـيرـ، وـكـانـ الـمـرـءـ يـدـفـعـ مـاـ بـيـنـ خـمـسـةـ إـلـىـ عـشـرـةـ رـيـالـاتـ (أـيـ مـاـ يـعـادـلـ مـاـ بـيـنـ دـولـارـ وـنـصـ وـدـولـارـيـنـ) لـلـمـنـظـمـيـنـ، الـذـيـنـ تـنـاطـ بـهـمـ مـهمـةـ إـنـذـارـ الـجـمـهـورـ إـذـاـ مـاـ اـقـتـرـبـ مـنـ الـمـكـانـ أـفـرـادـ الشـرـطةـ الـدـينـيـةـ. وـفـيـ إـحـدـىـ الـمـرـاتـ كـسـرـ صـدـيقـ لـيـ سـاقـهـ حـينـماـ قـفـزـ مـنـ فـوـقـ جـدـارـ أـثـنـاءـ هـرـبـهـ سـعـيـاـً لـلـإـفـلـاتـ مـنـ قـبـصـةـ هـؤـلـاءـ الشـرـطةـ. فـيـ سـبـعينـيـاتـ الـقـرنـ الـعـشـرـيـنـ، كـانـ الـأـمـاـكـنـ الـوـحـيدـةـ فـيـ شـبـهـ جـزـيـرـةـ الـعـربـ الـتـيـ كـانـ النـسـاءـ يـعـمـلـنـ فـيـهـاـ خـارـجـ الـبـيـتـ أـوـ خـارـجـ الـمـدـرـسـةـ هـيـ الـكـوـيـتـ وـالـبـحـرـيـنـ.

يرغب محمد بن سلمان في تقديم سردية جديدة لتأريخ بلادي المعاصر، وهي سردية تعفي الحكومة من المسؤولية عن تواظوها في تبني المذهب الوهابي المتشدد، الأمر الذي ينافس حقيقة ما وقع لم يكن أول حكم نال من حقوق النساء السعوديات ناجماً عن حملة مارستها السلطات الدينية الوهابية أو بسبب إصدار فتوى ما. يذكر كثير من السعوديين الحكاية المحزنة للأميرة السعودية البالغة من العمر تسعه عشر عاماً التي حاولت الهرب من البلاد مع عشيق لها. انتهت القصة بإعدامهما جميعاً، وقد سطرت تلك المأساة في فيلم وثائقي درامي بريطاني عام 1980 بعنوان "موت أميرة". جاء رد الحكومة على محاولة الأميرة الفرار سريعاً وحاسماً، وتمثل في عزل النساء، وحظر السفر على أي امرأة دون الحصول على موافقة من ولد أمها الذكر.

وفي عام 1980، أرسل وزير الصناعة والكهرباء غاري القصبي رسالة كتبها بخط يده إلى الملك خالد يحذر من عواقب الإجراءات التقييدية التي فرضت على ظهور صور النساء في الصحف المطبوعة وفي وسائل الإعلام المرئية، وطلب من الملك إعادة النظر في تلك السياسات قائلاً: "حتى لا نصبح نموذجاً للتشدد والتخلف أمام العالم بأسره". إلا أنه تم تجاهل رسالته تماماً.

يرغب محمد بن سلمان في تقديم سردية جديدة لتأريخ بلادي المعاصر، وهي سردية تعفي الحكومة من المسؤولية عن تواظوها في تبني المذهب الوهابي المتشدد، الأمر الذي ينافس حقيقة ما وقع. على الرغم من أن محمد بن سلمان محق في تحرير المملكة العربية السعودية من قبضة القوى الدينية المحافظة والمعصية، إلا أنه مخطئ في مساعاه للدفع بنوع آخر من التطرف، والذي لئن بدا أكثر ليبرالية وأكثر قبولاً لدى الغرب، إلا أنه لا يقل تشديداً في رفضه لكل مخالف أو معارض.

لقد رحبت المملكة العربية السعودية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي بالمصريين الذين لاذوا بالفرار من مصر خشية أن يعتقلهم رئيسها جمال عبد الناصر عقا باً لهم على معتقداتهم. كان عدد كبير من هؤلاء من منتسبي جماعة الإخوان المسلمين. وقد جلبوا معهم إلى المملكة مقاربات جديدة نحو الفكر الإسلامي والشريعة الإسلامية رحب بها كثير منا بما في ذلك قادتنا وزعماؤنا.

لا يجرؤ الناس في السعودية الآن على النطق

وكان الملك فيصل، الذي اغتيل في عام 1975، قد أقام أول مدارس حكومية للبنات في ستينيات القرن الماضي، وهي الخطوة التي عارضها بشدة منتسبو المؤسسة الدينية. وكان يرى ضمن سعيه الحثيث لإعداد البلاد للدخول إلى القرن الحادي والعشرين بأن جماعة الإخوان المسلمين يمكن أن تشكل ثقلاً موازناً لرجال الدين التابعين للمدرسة الوهابية.

وضع الملك فيصل ثقته في الشيخ الموقر مناع القحطان لكي يحدث النظام القضائي السعودي. وما لبث أن بدأت عجلة الإصلاحات، التي كانت مستحيلة حتى ذلك الوقت، بفضل ما كان يتمتع به أعضاء جماعة الإخوان المسلمين من علم ودرأية، بما في ذلك في مجال قوانين العمل، وتدريس اللغة الإنجليزية ومادة

الكيمايا، والتشكيل الجزئي للائحة القوانين. والآن تعمل وسائل الإعلام السعودية بتشجيع من الحكومة على شيطنة الشيخ القحطان بحجة أنه كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين. فما الذي طرأ حتى يصبح الإخوان مكرهين لهذه الدرجة؟

لا يجرؤ الناس في السعودية الآن على النطق، وشهدت البلاد وضع قائمة سوداء بأسماء كل من تجرأوا ورفعوا أصواتهم، وسجن المثقفين والشخصيات الدينية التي صدر عنها ولو القدر البسيط من النقد، وأخيراً حملة مزعومة لمحاربة الفساد شملت العديد من كبار الأمراء ورجال أعمال. ورأينا كيف أن الليبراليين الذين كانوا يوماً مستهدفين من قبل متشددو الوهابية بالرقابة والحظر قاموا الآن بقلب الطاولة عليهم، فهم الآن من يقوم بحظر كل ما يبدو في نظرهم متشددًا، مثل منع تداول مختلف الكتب في معرض الكتاب الدولي الشهر الماضي. قد تراود المرء نفسه على الإشارة بهذا التحول مائة وثمانين درجة، ولكن ألا يجدر بنا أن نطرح في رؤية سوق للأفكار يفتح في بلادنا؟

أتفق مع محمد بن سلمان في وجوب أن تعود البلاد إلى مناخ ما قبل عام 1979 حينما كانت الحكومة تفرض قيوداً على التقاليد الوهابية المتشددة. ينبغي أن ينعم النساء اليوم بنفس حقوق الرجال. وينبغي أن يتمكن جميع المواطنين من التعبير بما يجول في خواطرهم دون خوف على أنفسهم من السجن. أما استبدال أساليب التشدد القديمة بطرق قمع جديدة فليس الجواب بحال.

المصدر: واشنطن بوست

ترجمة وتحرير: عربي21